اللطائف البلاغية في زيادة المبنى في صيغة (أَفْعَلَ) في القرآن الكريم

الدكتورة نور الحبشي

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن (كلية الشريعة/ جامعة دمشق)

ملخص

يتناول هذا البحث زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى في صيغة (أَفْعَلَ) في القرآن الكريم، فالقارئ لكتاب الله تعالى يتبادر إلى ذهنه كثير من التساؤلات عن استعمال المباني المختلفة للمعنى الواحد، وما الفرق بينها؟ وغير ذلك من التساؤلات التي تحتاج إلى تفكُّر وتأمُّل، وهذا ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ليكون محلًّا للبحث، فكلَّما طرأت زيادةٌ على عدد الحروف الأصلية المؤدِّية لأصل المعنى ازداد المعنى ودلَّ على تفريعاتٍ جديدةٍ في مفهومه لم يدلَّ عليها اللفظ في جذره الأصلي، ثم الوقوف على فائدة هذه الزيادة في القرآن الكريم يكشف الحجب عن معان جديدة ربما لم يكن للعرب عهد بها، ولكثرة الأمثلة التي تندرج تحت قاعدة (زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى) في الأفعال والأسماء خصّصت هذا البحث في باب (أَفْعَلَ) في الأفعال، وقد وضعت نصب عيني أن أظهر أهمية اختلاف المبنى، وأن أحاول اكتشاف أسرار ومعانٍ لطيفة للتعبير القرآني المعجز، أو التأكيدَ على ما أشار إليه المتقدمون وإبرازه. وتظهر أهمية هذا البحث في إبرازه بلاغة الخطاب القرآني ولطائف مفرداته، وارتباطه بفقه الدَّلالة التي يُعوَّل في إدراكها على السياق، وإدامة النظر فيه للوقوف على ما توحي به الألفاظ من خفيِّ الدَّلالات التي لا تُسفر عن وجهها وتكشف لثامها إلا لذي حسٍ مرهف وذوق مدرَّب. وقد اتّبعت المنهج الإحصائي بإحصاء جميع الأفعال في باب (أَفْعَلَ) في القرآن الكريم، ومن ثم استبعدت الأفعال التي لا تدخل تحت هذه القاعدة؛ إما لأنَّ المجرد منها لم يرد في كلام العرب، كما في (أَبْلَسَ)، أو لأنَّه استعمل في معنى مغايرٍ لمعنى المزيد، كما في (قَسَطَ وأَقْسَطَ)، وكان لا بدَّ من ذكرها والإشارة إليها حتى لا يسأل سائل عن سبب إقصائها من الدراسة أو يظنَّ ظانٌّ أنها مما أُهْمِلَ أو أُغفِل؛ ولكثرة الأمثلة اقتصرت على مجموعة جيدة تفي بالغرض المطلوب من البحث، وهو

إظهار اللطائف البلاغية المستفادة من الزيادة في المبنى، وبيان أنّ هذه الزيادة مقصودةٌ في المعنى. ثمَّ اتّبعت بعد ذلك المنهج الاستقرائي ثم التحليلي في دراسة هذه الأمثلة بتتبُّع ما ذكره اللغويون في معنى هذه الأفعال وفي الفرق بين المجرد والمزيد منها، ومن ثمَّ ملاحظة القراءات المتواترة والشاذة في الفعل المزيد، وقمت بعد ذلك باستقراء ما تكلّم به المفسرون أو أهل العلم فيها، مع النظر في أقوالهم وموازنتها، ومن ثم إثبات فوائد هذه الزيادات إن وجدتهم نصُّوا عليها، وإلا حاولت الوصول إلى المعنى عن طريق النظر والموازنة بين الآيات في استعمال الصيغة المجردة والمزيدة، مع النظر في استعمال هذه الأفعال في الشعر الجاهلي للموازنة بين استعمال الفعل عند العرب وفي القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: لطائف، بلاغة، أَفْعَلَ، قرآن، مبنى، زيادة.

❁❁❁

Rhetorical Subtleties in the Morphological Increase in the Form (Af'ala)in The Holy Quran

Noor Muhammad Bashir Al - Habashi

PhD in Quranic Exegesis and Sciences from the Faculty of Sharia/ University of Damascus

nooralzman50@gmail.com

Abstract

This research addresses the increase in morphological structure (al-mabnā) and its indication of an increase in meaning in the form (ʾafʿala) in the Holy Qur'an. The reader of the Book of Allah finds many questions arising in their mind regarding the use of different morphological forms for the same meaning, and what the difference between them is, among other questions that require reflection and contemplation. This is what prompted me to choose this topic as a subject of research. Whenever an increase occurs in the number of root letters that convey the core meaning, the meaning intensifies and indicates new ramifications in its concept that the original root word does not convey. Then, examining the benefit of this increase in the Holy Qur'an unveils new meanings that perhaps the Arabs had never experienced before. Due to the abundance of examples falling under the principle of increase in structure and its indication of an increase in meaning in both verbs and nouns, I have dedicated this research to the section on (ʾafʿala) among verbs. I have set before me the goal of demonstrating the importance of morphological

variation, attempting to discover the subtle secrets and meanings of the miraculous Qur'anic expression, and confirming or highlighting what earlier scholars have pointed out.

The importance of this research lies in its demonstration of the eloquence of Qur'anic discourse and the subtleties of its vocabulary, as well as its connection to the understanding of signification (fiqh al-dalālah), which is perceived through context and continuous contemplation to grasp the hidden connotations that words imply — connotations that are not revealed except to those of refined sensitivity and trained taste.

I have followed the statistical method by compiling all verbs in the form (ʾafʿala) in the Holy Qur'an. I then excluded verbs that do not fall under this rule, either because their simple (unaugmented) form does not appear in Arab speech — as in (ʾablasa) — or because it was used in a meaning different from that of the augmented form — as in (qasaṭa and ʾaqsaṭa). It was necessary to mention and refer to these so that no one would ask why they were excluded from the study or assume they were neglected or overlooked. Due to the abundance of examples, I have limited myself to a good selection sufficient for the purpose of the research, which is to demonstrate the rhetorical subtleties gained from the increase in structure and to clarify that this increase is intentional in meaning.

After that, I followed an inductive method and then an analytical approach in studying these examples, by tracing what linguists have mentioned regarding the meanings of these verbs and the difference

between the simple and augmented forms, then observing the frequent and anomalous Qur'anic readings (qirāʾāt) of the augmented verb. I then surveyed what the exegetes (mufassirūn) and scholars have said about them, examined and balanced their opinions, and subsequently established the benefits of these increases wherever they explicitly stated them. Otherwise, I attempted to arrive at the meaning through reflection and comparison between the verses using both the simple and augmented forms, while also considering the use of these verbs in pre-Islamic poetry to balance between the usage of the verb among the Arabs and in the Holy Qur'an.

Keywords: Eloquence، *Af'ala*، Qur'an، Morphology، Increase

❁❁❁

المقدمة

الحمد لله الذي شرّفنا على الأمم بالقرآن المجيد، وجعل آياته دالةً على وجوده ومعجزةً لفصحاء خلقه في كل زمنٍ لا تَحيد، وأُصلِّي وأُسلِّم على سيدنا محمد آخر المرسلين وحبيب المؤمنين، من بلّغ القرآن كما أوحي إليه، وأَوضحَ الطريق بجوامع الكلم الذي أُوتيه.

أمّا بعد:

فإنَّ أحقَّ ما صُرِفَت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية.. كتابُ الله الذي لا ريب فيه وتنزيله لا مرية فيه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، ولمّا كانت الاستفادة من الحقائق والمعارف والأحكام والآداب في القرآن المجيد موقوفةً على فهم مدلولات مفرداته على وجه التدقيق والتحقيق كان لا بدّ لنا أن نجتهد في إدراك حقائق تلك المفردات وأسرارها، فلا يمكن لقارئ القرآن أن يقف على لطائف المعاني في الآيات القرآنية إلا إذا وقف على مدلولات تلك الألفاظ وأسرارها.

والقارئ لكتاب الله تعالى يتبادر إلى ذهنه كثير من التساؤلات عن استعمال المباني المختلفة للمعنى الواحد؛ لماذا جاء الفعل هنا مضعَّفًا ولم يأت كذلك هناك؟ لماذا تعدّدت المصادر للفعل الواحد؟ لماذا العدول عن اسم الفاعل إلى مبالغته؟ وغير ذلك من التساؤلات التي تحتاج إلى تفكُّر وتأمُّل، فلا شكَّ في أنَّ كل مفردة قد وُضِعَت وَضْعًا فنيًا مقصودًا، وأنَّ الحذف من المفردة مقصود كما أنَّ الذِكر مقصود، ولا يمكن أن يكون مجيء تلك الأبنية تكرارًا ولغوًا؛ لأنَّه يستحيل على كتاب الله الاختلاف والحشو واللغو.

هذه التساؤلات وغيرها دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع ليكون محلًّا للبحث، ثمَّ اقتصرت على دراسة بعض الأمثلة بما يحقق الغرض المقصود.

أولًا: سبب اختيار البحث:

بيان أن كل زيادة في القرآن مقصودة.

ثانيًا: أهمية البحث:

يظهر الجانب البلاغي في القرآن الكريم ووجه استعمال الصيغ المتعددة وأثر ذلك على المعنى.

ثالثًا: هدف البحث:

الوقوف على اللطائف البلاغية المستفادة من زيادة المبنى في صيغة (أَفْعَلَ) في القرآن الكريم، فاللغويون في جمعهم لكلام العرب جعلوا أكثر صورها من باب التأكيد أو المبالغة، لكن الأمر يختلف في القرآن الكريم، فالزيادة فيه قد تكون من باب إضافة معنى جديد.

رابعًا: منهج البحث:

– اتّبعت المنهج الاستقرائي بجمع ما ورد من أمثلة لصيغة أَفْعَلَ في القرآن الكريم، ثمَّ استبعدت الأفعال التي لا تدخل تحت هذه القاعدة؛ إما لأنَّ المجرد منها لم يرد في كلام العرب، كما في (أَبْلَسَ)[1]، أو لأنَّه استعمل في معنى مغايرٍ لمعنى المزيد، كما في (قَسَطَ وأَقْسَطَ)[2]، ثم اقتصرت على مجموعة من الأمثلة تفي بالغرض المطلوب من البحث، وهو إظهار اللطائف البلاغية في زيادة مبنى الفعل، وبيان أنّ هذه الزيادة مقصودةٌ في المعنى.

– اتّبعت بعد ذلك المنهج التحليلي في دراسة هذه الأمثلة مع ملاحظة ورود المجرّد منها في القرآن الكريم أو عدم وروده، ثم تتبّعت ما ذكره اللغويون في معنى الأفعال وفي الفرق بين المجرّد والمزيد منها، ومن ثم ملاحظة القراءات المتواترة والشاذة في الفعل المزيد، ثمَّ استقرأت ما تكلّم به المفسرون أو أهل العلم فيها، مع النَّظر في أقوالهم وموازنتها، ومن ثم إثبات فوائد هذه الزيادات إن وجدتهم نصُّوا عليها، وإلا فقد حاولت الوصول إلى المعنى عن طريق النَّظر والموازنة بين الآيات في استعمال الصيغ المجردة والمزيدة، مع النَّظر في استعمال هذه الأفعال في الشعر الجاهلي للموازنة بين استعمال الفعل عند العرب وفي القرآن الكريم.

---

(1) وأبلس فلان: سكت غمًّا. ابن جنيّ المنصف، ط1(دار إحياء التراث القديم، 1954م)، 413. وقال السخاوي: «أبلس: إذا انقطعت حجّته، أو من أبلس من رحمة الله؛أي: يئس، أو من الانكسار والحزن». السخاوي، سفر السعادة وسفير الإفادة، ط2(دار صادر، 1995م)، 25.

(2) أي: جار وعدل. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط3(دار صادر، 2004م)، (قسط) 7/ 377.

– عند استعمال الفعل المجرّد لمعان عدة فإنّ محلَّ الدراسة هو المعنى الذي التقى مع المعنى الذي جاء به الفعل المزيد، وهذا على غرار ما ألفه الرعيل الأول في باب فَعَلَ وأَفْعَلَ[1]، يريدون بذلك المعنى الذي التقى عليه فَعَلَ وأَفْعَلَ.

– إذا نقلت من المصدر حرفيًا عزوت للمصدر مباشرة، لكن إن كان النقل بتصرف في العبارة وضعت: (ينظر).

خامسًا: الدراسات السابقة:

– في القرآن والعربية. دراسة في صيغة فعل وأفعل. أحمد علم الدين الجندي.

– صيغة أفعل ودلالتها في القرآن الكريم. د. توفيق أسعد.

– صيغة أفعل الفعلية ومعانيها في القرآن الكريم.عبد العزيز الجبل.

سادسًا: خطة البحث:

قسّمت البحث إلى مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولًا: المقدمة

ثانيًا: المطلب الأول: فَعَلَ وأَفْعَلَ عند اللغويين

ثالثًا: المطلب الثاني: معاني صيغة أفعل

رابعًا: المطلب الثالث: تعريف الزيادة والمبنى

خامسًا: المطلب الرابع: دراسة مجموعة من الأفعال التي جاءت على صيغة أَفْعَلَ في القرآن الكريم.

سادسًا: الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

سابعًا: قائمة المراجع.

(1) وألَّف فيه عدد من العلماء منهم أبو حاتم السِّجْستَاني وقال في مقدمة كتابه: «هذا باب فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ بمعنى واحد». ينظر: أبو حاتم السِّجسْتَاني أبو حاتم، فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ، ط2(بيروت: دار صادر، 1996م)، 82.

المطلب الأول: فَعَلَ وأَفْعَلَ عند اللغويين:

حظي الفعلان (فَعَلَ وأَفْعَلَ) من بين صيغ الأفعال الأخرى باهتمام اللغويين من حيث اتفاقُهما في المعنى واختلافهما فيه، ولعلَّ اهتمام اللغويين بـ (فَعَلَ وأَفْعَلَ) دون غيرهما لكثرتهما في اللغة؛ فـ (فَعَلَ) هو المبنى الأصلي للفعل، وأمّا (أَفْعَلَ) فهو الوزن الأخفُّ من بين صيغ الأفعال الأخرى، والعرب تميل إلى الخفَّة في كلامها، فلا بدَّ أنّ (أَفْعَلَ) سيكون في كلامها أكثر من غيره، و(أَفْعَلَ) هو أكثر الأبنية المزيدة ورودًا في القرآن الكريم؛ فقد ورد في مئتين وثلاثة وأربعين موضعًا؛ ولكثرة ورود (أَفْعَلَ) في لغتهم، ولكثرة المعاني التي دلَّ عليها، فقد اعتنى به العلماء أكثر من غيره من صيغ الأفعال الأخرى، وأُلِّفَت الكتبُ والرسائل في (فَعَلَ) و(أَفعَلَ)، ثمَّ اختلف العلماء فيهما؛ هل يأتيان لمعنى واحد، أو لمعنيين؛ فذهبت طائفة منهم كابن دُرُسْتُوَيْه(347هـ) والعَسْكَريّ(395هـ) وابن يَعيش(643هـ) والإِسْتِرابَاذي(686هـ) إلى أنَّه لا يجوز أن يكون فَعَلَ وأَفْعَل بمعنى واحد كما لا يكونان على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين، أمَّا في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد[1]. وذهبت طائفة إلى جواز مجيء فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد مع قولهم بمجيء (فَعَلَ) و(أَفعَلَ) بمعنيين مختلفين، ومنهم سِيْبَوَيْه(180هـ)، وابن قُتَيبَة(276هـ)، والسِّجِسْتَاني(248هـ)، والزَّجَّاج(311هـ)، وابن فارس(395هـ)، وابن عصفور(669هـ)، والسيوطي(911هـ)[2].

(1) ينظر: ابن درستويه، تصحيح الفصيح، (القاهرة، 1998م)، 71؛ والعسكري، الفروق في اللغة، ط1(مؤسسة الرسالة، 2002م)، 15؛ وابن يعيش، شرح المُلوكي في التصريف، ط1(حلب: المكتبة العربية، 1973م)، 96-97؛ والرضي، شرح الشافية، ط1(1395هـ)، 1/ 83.

(2) ينظر: سيبويه، الكتاب، ط1(مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق-مصر، 1317هـ)، 4/ 62؛ وابن قتيبة، أدب الكاتب، ط1(لبنان: دار الكتب العلمية، 1998م)، 283؛ والسجستاني، فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ، ص118؛ وابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ط1(لبنان: دار الكتب العلمية، 1997م)، 125؛ وابن عصفور، الممتع في التصريف، ط1(حلب: نشر وتوزيع المكتبة العربية، 1970م)، 2/ 195؛ والسيوطي، همع الهوامع، (الكويت: دار البحوث العلمية، 1980م)، 3/ 210.

المطلب الثاني: معاني صيغة (أَفْعَلَ):

وردت (أَفْعَلَ) لمعانٍ متعددة ذكرها اللغويون، وهي تخالف المعنى الذي ورد له الفعل المجرد مما يؤكِّد مذهب القائلين باختلاف فَعَلَ وأَفْعَلَ في المعنى، وإن كان أكثرها وأشهرها معنى التعدية، وأكثر هذه المعاني ترجع إلى السماع من لغة العرب،، والمعاني التي ذكرها اللغويون والصرفيون هي:

1 - **التعدية، نحو**: أَجْلَسْتَ زيدًا [1]، وقد تأتي (أَفْعَلَ) متعدية ولازمة، مثل: (أضاءت النارُ) و(أضاءت النارُ غيرَها)[2].

2 - **الصيرورة؛ أي**: إن الفاعل صار صاحبًا للأصل الذي اشتُقَّ منه الفعل، نحو: أَثْقَلَت المرأة بمعنى: ثَقُلَ حملها أو صارت ذا ثقل[3].

3 - **الدلالة على وجوده على صفة، نحو**: أَحْمَدْتُ فلانًا وأَبْخَلْتُهُ؛ أي: وجدته متصفًا بالحمد والبخل.

4 - **ومنه قوله تعالى**: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥعَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: 28]؛ أي: وجدناه غافلًا.

5 - الإعانة، حكاه ابن قُتَيبَة(276هـ) عن أبي عُبَيدَة(210هـ)، وقوله: أحلَبْتُكَ الناقة، وأحمَلْتُكَ، كل هذا إذا أردت أنك طلبته له وأعنته عليه «[4].

6 - الاستحقاق أو الحينونة، مثال ذلك: أَحْصَدَ الزَّرْعُ: استحقَّ أن يُحصَد[5].

7 - **مطاوع فَعَّلَ، نحو**: فَطَّرْتُه فأفطر، وبَشَّرْتُه فأبشر، وهو قليل[6].

8 - **التعريض، نحو**: أَبَعْتُهُ، والتعريض معناه أنك تجعل ما كان مفعولًا للثلاثي معرَّضًا لأن

(1) ينظر: سيبويه، الكتاب: 4/ 55. والرضي، شرح الشافية: 1/ 83؛ وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط20(القاهرة: دار مصر للطباعة، 1980م)، 4/ 263.

(2) ينظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، 293–295.

(3) ينظر: سيبويه، الكتاب، 4/ 59؛ وابن قتيبة، أدب الكاتب، 293–295؛ والرضي، شرح الشافية، 1/ 88.

(4) ابن قتيبة، أدب الكاتب، 293–295.

(5) ينظر: سيبويه، الكتاب، 4/ 60؛ والرضي، شرح الشافية، 1/ 88؛ وشرح ابن عقيل، 4/ 263.

(6) ينظر: سيبويه، الكتاب، 4/ 58.

يكون مفعولًا لأصل الحدث، سواء صار مفعولًا له أو لا، نحو أَقْتَلْتُهُ؛ أي: عرَّضته لأن يكون مقتولًا، وأَبَعْتُ الفرس؛ أي: عرَّضته للبيع[1].

9 - **نفي المعنى الأصلي لمَّا كان ظاهره يوهم أن الصفة غريزية في صاحبها، من ذلك قولهم:** أَسْرَعَ وأَبْطَأَ في سَرُعَ وبَطُؤَ، ليست الهمزة فيهما للنقل، بل الثلاثي والمزيد فيه غير متعدِّيَيْن، لكن الفرق بينهما أن سَرُعَ وبَطُؤَ تفيد ثبوت الصفة في صاحبها في حين أنَّ (أَسْرَعَ) تفيد معنى الاستعجال، و(أَبْطَأَ) تفيد معنى الاحتباس[2].

10 - **دخول الفاعل في الوقت المشتقِّ منه أَفْعَلَ، نحو:** أَصْبَحَ وأَمْسَى وأَفْجَرَ وأَشْهَرَ[3].

11 - **السلب، نحو:** أَشْكَيْتُهُ وأَقْذَيْتُهُ؛ أي: أزلت شكواه، وقذى عينه.

12 - **الجعل، من ذلك:** أَقْبَرْتُهُ؛ أي: جعلت له قبرًا قُبِرَ أو لا[4].

13 - **بمعنى الدعاء:** وقد جاء أَفْعَلَ بمعنى الدعاء، نحو أَسْقَيْتُهُ؛ أي: دعوت له بالسقيا[5].

14 - **الكثرة، نحو:** أضبَّ المكان؛ أي: أصبح فيه ضِباءٌ كثيرة[6].

15 - **التسمية، أَكْفَرْتُه، وأخطأْتُه؛ أي:** سمَّيْتُه كافرًا ومخطئًا[7].

16 - **المطاوعة لفَعَل، نحو:** قَشَعت الريحُ السحابَ فأَقْشَعَ[8].

17 - **بمعنى فَعَلَ، نحو:** قَاله وأقاله، ومَحْضْتُه الوُدَّ، وأمْحَضْته[9].

(1) ينظر: سيبويه، الكتاب، 4/ 59؛ والرضي، شرح الشافية، 1/ 88.
(2) ينظر: الرضي، شرح الشافية، 1/ 87.
(3) ينظر: المرجع السابق، 1/ 90.
(4) ينظر: سيبويه، الكتاب، 4/ 59؛ والرضي، شرح الشافية، 1/ 86.
(5) ينظر: سيبويه، الكتاب: 4/ 56–61؛ والرضي، شرح الشافية: 1/ 91، وشرح ابن عقيل: 4/ 263.
(6) ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضَرَب من لسان العرب، ط1(القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998م)، 1/ 172.
(7) ينظر: سيبويه، الكتاب، 4/ 58؛ وأبو حيان، ارتشاف الضرب، 1/ 172.
(8) السيوطي، همع الهوامع، 3/ 303.
(9) ينظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، 169.

«وقد يجيء (أَفْعَلَ) لغير هذه المعاني، وليس له ضابطٌ كضوابط المعاني المذكورة»[1].

المطلب الثالث: تعريف الزيادة والمبنى:

أولًا: تعريف الزيادة:

«الأصل في معنى الزيادة هو النُّمو، فيقال: زاد على ما أراد، وزاد على الشيء ضِعفَه، وتزايدوا في ثمن السلعة حتى بلغ منتهاه»[2].

وهذا النموُّ يكون خارجًا عن أصل الشيء، لكنه تابعٌ له، ذكر ذلك الأصفهاني(502هـ)، فقال في تعريف الزيادة: «أن ينضمَّ إلى ما عليه الشيءُ في نفسه شيءٌ آخر»[3]. وقال الحَرَالِّيُّ[4](637هـ): «استحداث أمر لم يكن في موجود الشيء»[5]. وجعل الكَفَويّ(1094هـ) من معاني الزيادة ما يكون به الشيء لكنه يكمل به، قال: والزيادة كما تُستعمل بمعنى الزائد المستدرك وهو المعنى المشهور، كذلك تُستعمل فيما يتمُّ به الشيء ويكمل به عين الكمال[6].

وتطلق الزيادة أيضًا على معنى المبالغة في الشيء، فيقال: «تَزَيَّد السعر: غلا»[7]، «وتزايدوا في ثمن السلعة حتى بلغ منتهاه»[8]، وعلى معنى التكلُّف في الكلام والفعل، فيقال: «إنسان يتزيَّد في حديثه وكلامه؛ إذا تكلَّفَ مجاوزةَ ما ينبغي»[9]، ويقال: «تزّيَّدت الإبل في سيرها: تكلَّفت فوق طوقها»[10].

(1) الرضي، شرح الشافية، 1/ 92.

(2) الزمخشري، أساس البلاغة، ط1(لبنان: مكتبة لبنان–ناشرون، 1996م)، 194.

(3) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط1(دمشق: دار القلم، 1996م)، 386.

(4) هو أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن حسن التُّجِيبِيُّ الأندلسيُّ، ولد بمَرَّاكش، عمل تفسيرًا عجيبًا، وتكلّم في علم الحروف والأعداد. ينظر: الذَّهبي، سير أعلام النبلاء، ط3(مؤسسة الرسالة، 1985م)، 23/ 47.

(5) نقله عنه المنَاويُّ في التوقيف على مهمات التعاريف، 391.

(6) ينظر: الكفوي، الكليات، ط1(دمشق: مؤسسة الرسالة، 1992م)، 487.

(7) ابن منظور، لسان العرب، ط3(دار صادر، 2004م)، (زيد) 3/ 199.

(8) الزمخشري، أساس البلاغة، (زيد) 194.

(9) الزَّبيدي، تاج العروس، (زيد) 8/ 155.

(10) ابن منظور، لسان العرب(زيد) 3/ 199.

ثانيًا: تعريف المبنى:

1 – **لغةً**: «الباء والنون والياء أصل واحد وهو بناءُ الشيء بضمِّ بعضه إلى بعض»[1]، والبِنْيَةُ والبِنية: ما بَنَيته، وكأنَّ البِنية بالكسر: الهيئة التي بُنِيَ عليها[2]، فقد رجّح الزَّبِيدي(1205هـ) كسر (البنية) إذا أُطلِقَت على الصيغة، ومنه: بِنْية الكلمة؛ أي: صيغتها.

2 – **اصطلاحًا**: ونعني بالتعريف الاصطلاحي: (مبنى الكلمة)، وهو: «هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، والمقصود بهيئتها عدد حروفها المرتَّبة وحركاتها المعيَّنة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كلٌّ في موضعه»[3].

وبنية الفعل هي صيغته؛ يدلُّ على ذلك فعل كثير من النحاة ومنهم، أبو العباس المُبَرِّد(286هـ) الذي وضع الصيغ تحت اسم الأبنية، وذلك في قوله: (هذا باب الأبنية ومعرفة الزوائد)[4]، وأبو محمد الصَّيمَرِّي(541هـ) الذي ذكر الصيغ في (باب عدة أبنية الأفعال وما يجيء عليه)، قال: «اعلم أن الأفعال تسعة عشر بناء لما سمِّي فاعله». فقوله: الأفعال تسعة عشر بناء؛ أي: تسع عشرة صيغة[5].

وبناء على ما سبق ذكره فبِنية الكلمة هي جملة من الحروف أو الأصوات تخضع إلى ترتيب معين، وتضاف إليها جملة من الحركات والسكنات، إلا أن هذه الحروف منها ما هو أصليٌّ ومنها ما هو زائد.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، (بني) 1/ 302.

(2) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط1(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001م)، (بني) 37/ 216، 218.

(3) الرضي، شرح الشافية، 1/ 2.

(4) ينظر: المبرّد أبو العباس محمد، المقتضب، (القاهرة، 1982م)، 1/ 191.

(5) الصيمري أبو محمد، التبصرة والتذكرة، ط1(مكة المكرمة: مركز البحوث العلمي والتراث الإسلامي، كلية الشريعة، 1982م)، 2/ 743، 749.

المطلب الرابع: دراسة مجموعة من الأفعال التي جاءت على صيغة (أَفْعَلَ) في القرآن الكريم:

ورد (أَفْعَلَ) في القرآن الكريم في مئتين وثلاثة وأربعين موضعًا، وسأدرس في هذا البحث مجموعة من الأفعال يظهر فيها أثر الزيادة واللطائف البلاغية المستفادة من هذه الصيغة

المثال الأول: ثَقُلَ وأَثْقَلَ:

أولًا: الآيات القرآنية التي ورد فيها الفعلُ:

ورد (ثَقُلَ) المجرد في سبعة مواضع في القرآن الكريم، منها قوله تعالى:

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8]

﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 187]

أما (أَثْقَلَ) اللازم غير المتعدي بمعنى (ثَقُلَ) فقد ورد في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿* هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: 189] (1).

ثانيًا: المعنى اللغوي:

الثِّقَل ضد الخِفَّة، تقول: ثَقُلَ الشيءُ ثِقلًا وثَقَالةً، فهو ثقيل، والثِّقَل: الحِمْلُ الثقيل[2]، «وأَثْقَلَتِ المرأة؛ أي: ثَقُل الحملُ في بطنها»[3]، «وأَثْقَلَت وثَقُلَتْ: استبان حملُها»[4].

(1) ينظر: مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ط2(الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م)، 1/ 176.

(2) ينظر: الجوهري، الصحاح، ط4(لبنان: دار العلم للملايين، 1990م)، 4/ 1647. وابن منظور، لسان العرب، (ثقل) 2/ 113.

(3) الجوهري، الصحاح، (ثقل) 4/ 1647.

(4) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ط6(مؤسسة الرسالة، 1998م)، (ثقل) 972.

ثالثًا: القراءات في الفعل:

قرأ الجماعة: ﴿أَثْقَلَت﴾، ووردت قراءة شاذة (أُثقِلَتْ) مبنيًا للمجهول والهمزة للتعدية[1]، فقراءة الجماعة مزيدة بمعنى اللازم، أما القراءة الشاذة فهي مزيدة بمعنى المتعدي.

رابعًا: معنى الفعل في الآية:

ذكر الأخفش(215هـ) وابن عاشور(1393هـ) أنّ الهمزة في ﴿أَثْقَلَت﴾ للصيرورة؛ أي: صارت ذا ثِقَل، مثل: أورَق الشجرُ؛ أي: صار ذا وَرَق[2]، وقال السمين الحلبي(756هـ): «فهو كناية عن ظهور حملها؛ لأنها تَثقُل عن الحركة»[3]. وقال الفراء(207هـ): «دنت ولادتها»[4]، ولعلّ الفراء أراد بذلك أنَّ الحمل أصبح في الأشهر الأخيرة التي تَثقل بها الحامل حقًا؛ لنموِّ المولود على نحو يكتمل به حجمه، وهذا يكون في الأشهر الثلاثة الأخيرة، ويؤيِّد ما ذكره الفراء سياقُ الكلام في قوله تعالى ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾، قال فيه الشعراوي(1419هـ): «والمعنى إنها حملت الجنين لفترة وهي لا تدري أنَّها حامل؛ لأنَّ نمو الجنين بطيء لا تشعر الأم به، وقوله تعالى: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ مقصود بها أنَّها تتحرك حركة حياتها قيامًا وقعودًا، إلى أن تَثقُل وتشعر بالحمل في شهوره الأخيرة»[5].

بالَّنظر في ما سبق نجد أنَّ الأصل العام في كل من (ثَقُل) و(أَثْقَلَ) هو حَمْلُ ما يُثَقِّلُ به الشيءُ زائدًا على ما كان من أصله، لكنَّ الزيادة في (أَثْقَلَتْ) أفادت معنى الصيرورة، فـ (أَثْقَلَت)؛ أي: صار الحَمْلُ ثقيلًا في داخلها، وهو ليس كنايةً عن ظهور حملها فقط كما ذكر

(1) الأخفش، معاني القرآن، ط1(القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990م)، 1/ 343؛ وابن خالويه، القراءات الشاذة، (القاهرة: مكتبة المتنبي)، 48. وينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ط1(سوريا: دار سعد الدين، 2002م)، 3/ 234.

(2) ينظر: الأخفش، معاني القرآن، 1/ 343. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ط1(لبنان: مؤسسة التاريخ، 2000م)، 8/ 385.

(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ط1(بنغازي: دار الكتب الوطنية، 1995م)، 1 / 454.

(4) الأخفش، معاني القرآن، 1/ 400.

(5) تفسير الشعراوي، قطاع الثقافة، 8/ 4516.

السمين الحلبي(756هـ)، بل هو كناية أيضًا عن اقتراب موعد الولادة كما ذكر الفراء وكون الحمل قد أصبح في أشهره الأخيرة؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ جاء معطوفًا على قوله تعالى: ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾، فالحمل قد حدث ثم جاء الإثقال، إلا إنْ أراد السمين الحلبي بظهور الحمل ظهورَه بسبب كبر حجم المولود في الأشهر الأخيرة.

وبالمقارنة مع ما ذكره اللغويون نجد ما يأتي:

1 – ذكر عدد من اللغويين أن (أَثْقَلَتْ) بمعنى (ثَقُلَتْ) وهو ليس بدقيق؛ لأن (أَثْقَلَت)؛ أي: صارت ذا ثقل، وهذا يكون في أواخر الحمل.

2 – لم يرد في كلام العرب أو في شعرهم (أَثْقَلَتْ المرأةُ) باللازم من الفعل، وما ورد في شعرهم وكلامهم إنما هو من المتعدي، ومن ذلك قول الشاعر[1]:

وَإذا الحَمالَة أَثقَلَت حُمَالَها فَعَلى سَوائِمِنا ثَقيلُ المَحمَلِ

أي: إذا كانت أظهُر الحمَّالين تَثقُل بحمولتها، فإنَّ إبلنا السائمة غير المعدَّة للحمل، تحمل الأثقال العظيمة على ظهورها.

المثال الثاني: رَكَسَ وأَرْكَسَ:

أولًا: الآيات القرآنية التي ورد فيها الفعل:

لم يرد المجرد في القرآن الكريم، وورد المزيد في آيتين من سورة النساء، وهما قوله تعالى:

﴿۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾[النساء: 88]

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾[النساء: 91][2].

(1) البيت لربيعة بن مقروم الضبي، ديوانه، جمع وتحقيق تماضر عبد القادر فيّاض حرفوش، ط1(بيروت: دار صادر، 1999) ، 48. ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ط1(الرياض: دار الرفاعي، 1982م)، 8/ 436.

(2) ينظر: مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، 1/ 516.

ثانيًا: المعنى اللغوي:

قال الخليل(175هـ): «الرّكس: قلب الشيء على آخره، أو ردُّ أوله إلى آخره»[1]، وقال الجوهري(393هـ): «الرَّكس: ردُّ الشيء مقلوبًا، وقد رَكَسَهُ وأَرْكَسَهُ بمعنىً»[2]، وقال ابن فارس(395هـ):»الرَّكْسُ: قَلْبُ الشيء على رأسه»[3]، وقال الزمخشري(538هـ): «رَكَسَه وأَرْكَسَه: قَلَبَهُ على رأسه»[4]، «ورَكَسْت الشيءَ وأَركَسْتُه: لغتان؛ إذا رددتَه»[5].

فالرّكس لردِّ الشيء مقلوبًا، سواء أكان ذلك بردِّ أوله على آخره، أم بقلبه على رأسه، وذكر الجوهري والزمخشري أنّهما بمعنى واحد، واتحاد المعنى فيهما راجعٌ إلى تعدد اللغات فيهما.

ثالثًا: القراءات في الفعل:

وردت قراءات شاذة في الآية (88)، وهي: (رَكَّسَهُمْ)، و(ركَسَهم)[6]، وقرأ عبد الله بن مسعود (رُكِّسُوا) في الآية (91)[7].

رابعًا: معنى الفعل في الآيات:

جاءت (أَرْكَس) في الآيتين بمعنى الرجوع إلى الكفر والدخول فيه، فالكلام في الآيتين عن قومٍ من المنافقين قدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأقاموا بالمدينة ما شاء الله، ثم قالوا: يا رسول الله، نريد أن نخرج إلى الصحراء فائذن لنا، فأَذِنَ لهم، فلم يزالوا حتى لحقوا بالمشركين، فهم قومٌ قد أظهروا الإيمان بداية، فأرجعهم الله تعالى إلى حقيقتهم بما كسبوا من المعاصي والآثام[8]، والرَّكْسُ: ردُّ الشيء من آخره إلى أوله، فالرَّكس والنكس

(1) الفراهيدي، العين، (دار الهلال)، (ركس) 5/ 310.
(2) الجوهري، الصحاح، (ركس) 3/ 936.
(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ركس)2/ 434.
(4) الزمخشري، أساس البلاغة،(ركس) ص171.
(5) ابن منظور، لسان العرب، (ركس) 6/ 214.
(6) ينظر: الزركشي، البحر المحيط، 4/ 9. وراجع: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 2/ 122.
(7) ينظر: ابن جني، المحتسب، 1/ 194. وراجع: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 2/ 127.
(8) ينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ط1(لبنان: دار إحياء التراث العربي، 2008م)، 4/ 169.

والمركوس والمنكوس واحد، ومنه يقال للروث: الركس؛ لأنَّه رد إلى حالة خسيسة، وهي حالة النجاسة[1]، قال ابن عطية (546هـ): «أرجعهم في كفرهم وضلالهم»[2]. وقال ابن كثير(774هـ): «والله أركسهم بما كسبوا؛ أي: ردَّهم وأوقعهم في الخطأ....بسبب عصيانهم ومخالفتهم الرسول واتباعهم الباطل»[3]. وقال أبو حيَّان (745هـ): «رجَّعَهم وردَّهم في كفرهم»[4]. فهم قد عادوا إلى ما كانوا عليه، وقال أبو حيان في الآية الثانية: «أُركسوا فيها؛ أي: رجعوا أقبح رجوع وأشنعه»[5].

وهذه المعاني التي ذكرها المفسرون لـ (أَرْكَسَ) تؤديها (رَكَس) أيضًا، فلماذا جاءت (أَرْكَسَ) دون (رَكَسَ)؟ نصَّ أبو حيان على أنَّ (أركس) أبلغ ولم يذكر السبب، قال: «وأركَسَه أبلغ من رَكَسَه، كما أنَّ أسقاه أبلغ من سقاه»[6]. لكنّه ذكر من معاني (أَرْكَسَ) الإضلال، و(أَرْكَسَهُمْ) بمعنى (أَضَلَّهُمْ) تعرفها العرب، ومنه قول الشاعر[7]:

وَأَرْكَسْتَنِي عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَصَيَّرْتَنِي مَثَلًا لَلْعِدَا

وفي كل من الآيتين يظهر سوء المنافقين وأنهم استحقُّوا بذلك إضلال الله لهم، ففي الآية الأولى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ وجاء بعدها: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾، وفي الآية الثانية: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾، فهم قد اشتغلوا بالكيد للمؤمنين

(1) ينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، 4/ 169.

(2) ينظر: المرجع السابق، 4/ 169.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (دار الأندلس)، 2/ 328.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط في التفسير، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1992م)، 4/ 9.

(5) المرجع السابق، 4/ 17.

(6) أبو حيّان، البحر المحيط في التفسير، 4/ 9.

(7) لم أجده في دواوين الشعر. وذكره أبو حيان في البحر المحيط. ينظر: أبو حيّان، البحر المحيط، 4/ 6.

بالفعل وبالبغض في قلوبهم، فسوؤهم لا يخلو عن الفعل أو النية، وبذلك استحقُّوا إضلال الله لهم، وفي صيغة الإفعال معنى الإعانة على الشيء، كما تقول: أحلَبْتُك الناقةَ؛ أي: أَعنتُكَ عليها، فكذلك هنا، فقد يسَّر الله لهم طريق الضلال بما كسبت أيديهم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل].

وبالنَّظر في ما سبق نجد أنَّ المعنى المشترك في كلٍّ من المجرد والمزيد هو الردُّ وقَلب الحالة الموجودة إلى حالة سابقة، وهو المعنى المستفاد من قولهم «رَكَسَ الشيءَ وأركَسَهُ: إذا ردَّه»[1]، لكنَّ صيغة الزيادة أضافت أنه يكون على نحو قد لا يكون عدول عنه، وهذا هو معنى الإضلال، فمن يُضلل اللهُ فلن تجد له سبيلًا، والسياق أفاد أنَّهم استحقوا هذا الرجوع بما اقترفت أيديهم، فـ (رَكَسَه) ردَّه وقَلَبَه على رأسه، لكنَّ (أَركَسَه) ردَّه وقَلَبَه على رأسه على نحوٍ قد لا يكون عدول عنه؛ أي: أضلَّه، وبالمقارنة مع ما ذكره اللغويون نجد أنَّ أهل المعاجم لم يفرِّقوا بين (ركَسَ) و(أَرْكَسَ)، وإن كان الاستعمال قد فرّقَ بينهما، فلم يستعمل لمعنى الردِّ والقلب إلا (أَرْكَسَ) فيما اطَّلعت عليه.

المثال الثالث: قَبَرَ وأقْبَرَ:

أولًا: الآيات القرآنية التي ورد فيها الفعل:

لم يرد المجرد، وورد المزيد في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ۝٢١﴾ [عبس: 21][2].

ثانيًا: المعنى اللغوي:

قال الخليل(175هـ): «الإقبار أن تُهيِّء له قبرًا وتُنزله منزله ذاك»[3]. وما ذكره الخليل في معنى الإقبار يوافق معنى الدفن، وقال ابن قُتيبَة(276هـ): «أَقْبَرْتُ الرجلَ: أمرت بأن يُقْبَر... وقَبَرْتُه: دفنته»[4]. وكذا ذكر الجوهري(393هـ)، قال: «وأقْبَرْتُهُ؛ أي: أَمَرْتُ بأن يُقبرَ، قالت

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (ركس) 6/ 214.

(2) ينظر: مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، 2/ 355.

(3) الفراهيدي، العين،(قبر) 5/ 157.

(4) ابن قتيبة، أدب الكاتب، 235.

تميم للحجاج: «أَقْبِرْنَا صَالِحًا، وكان قد قتله وصلبه؛ أي: ائذن لنا في أن نقبره. قال لهم: دونكموه»،[1]. وابن منظور(711هـ): «قَبَرَه يَقْبِره ويَقْبُره: دفنه، وأقبَرَه: جَعَلَ له قبرًا، وأَقْبَرَ إنسانًا: إذا أمر بحفر قبرٍ له»[2]. فأكثر اللغويون جعلوا (قَبَرَ) بمعنى: دفن، و(أَقْبَرَ): أمر أن يُقبَر.

ثالثًا: القراءات في الفعل:

لم يرد قراءات في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ بغير هذه الصيغة[3].

رابعًا: معنى الفعل في الآية:

قال أبو عبيدة(210هـ): «أَمَرَ بأن يُقبرَ»[4]. وقال الزَّجَّاج(311هـ): «معنى (أقبره) جعل له قبرًا يُوارَى فيه، وقَبَرْتُ فلانًا: دفنته، فأنا قابِره»[5]. فـ (أَقْبَرَه): جعل له قبرًا، أو أمر أن يُقْبَر، و(قَبَرَه): دفنه بيده، فمن نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان أن صيَّره بحيث يُقبَر، وجعل له قبرًا صيانة لجسده، ولم يجعله ممن يُلقى للطير والسباع، ولا ممن يلقى في صندوق من حجر أو خشب، ثم يوضع في بيت ونحوه، والعرب تقول: قَبَرْتُ الرجلَ، إذا وَلِيَ ذلك منه، وأَقْبَرَهُ الله، وبَتَرْتُ ذَنَبَ البعير، وأَبْتَرَهُ الله، وطَرَدْتُ عني فلانًا، وأَطْرَدَهُ اللهُ.

فالمُقْبِرُ هو الله تعالى، والقابِرُ هو الإنسان[6]، قَالَ الشاعر[7]:

لَـوْ أَسْـنَـدْتَ مَـيِّـتًـا إِلَـى نَـحـرِهَـا عَـاشَ وَلَـمْ يُـنْـقَـلْ إِلَـى قَـابِـرِ

بالنَّظر في ما سبق نجد أنَّ «الأصل الواحد في هذه المادة هو المواراة بحيث يُغطَّى من

(1) الجوهري، الصحاح، (قبر) 2/ 784.

(2) ابن منظور، لسان العرب، (قبر) 12/ 8.

(3) ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 10/ 309.

(4) أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1381هـ)، 2/ 286.

(5) الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه، 5/ 285.

(6) ينظر: الفراء، معاني القرآن، 3/ 237. وتفسير ابن كثير، 7/ 212. وأبو حيّان، البحر المحيط، 10/ 409. والحنبلي عمر ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ط1(لبنان: دار الكتب العلمية، 1998م)، 20/ 162. والقِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، (بيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، 1992م)، 15/ 82.

(7) للأعشى في ديوانه، (القاهرة: المطبعة النموذجية)، 139.

جميع الجوانب ماديًا ومعنويًا»[1] وهذا هو معنى الدفن، ويشترك في هذا الأصل كلٌّ من المجرَّد والمزيد.

لكنَّ الزيادة أفادت معنى جعل هذا الدفن للإنسان، فالنظر في الإفعال إلى جهة النسبة إلى الفاعل والصدور منه، فقال: (أَقْبَرْته) إشارة إلى تقدير الله تعالى للإنسان هذا الأمر[2]، فالله سبحانه وتعالى هو من جعل القبر للإنسان، أمّا في الخلق مثلًا، فلم يُسمَع (أَخْلَقَه)؛ لأنه لا يدَّعي أحد من الخلق أنَّه يَخلِق، فلم يحتج الفعل إلى الهمزة من أجل إثبات نسبته لله تعالى، أما الموت والإقبار فقد يظن ظانٌّ أنه من فعله كما في قصة نمرود مع سيدنا إبراهيم إذ قال ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ[3]﴾ [البقرة: 258]، لذلك جاءت الهمزة لتفيد نسبة الفعل الحقيقي إلى الله تعالى، وإظهار قدرته تعالى على عباده وامتنانه عليهم، فالله تعالى جعل القبر للإنسان وقدّره له، ثم كان ذلك بإلهامه له، وقال ابن فارس(395هـ): «وقال ناسٌ من أهل التَّفسير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ [عبس: 21] أُلهِمَ كيف يدفن»[4]. وقال ابن عاشور(1393هـ): «وإسناد الإقبار إلى الله تعالى مجاز عقلي؛ لأنَّ الله ألهم الناس الدَّفن كما في قصة دفن أحد ابني آدم أخاه بإلهام تقليده لِفِعْلِ غرابٍ حَفَرَ لغرابٍ آخرَ ميتٍ حفرةً»[5]. فالمعنى الذي تفيده الهمزة في: (أَقْبَرَ) هي نسبة الفعل إلى الله تعالى، والمعنى المراد من الإسناد إلى الله تعالى هو الإلهام، وهذا أولى من قولنا: بالجعل أو التسبُّب أو التصيير، فهذه الألفاظ كلها تُفَسَّرُ بالإلهام، كما أنَّ معنى الجعل والتصيير والتسبُّب قريبٌ من معنى الأمر بِقَبرِهِ الذي ورد في اللغة لـ (أَقْبَرَهُ)، فالأولى في تفسير (أَقْبَرَهُ) إذا أُسنِدَ إلى الله تعالى أن يكون له معنًى واضح يختصُّ به، فالجعل والتسبُّب والتصيير كلها مجازات، والحقيقة المرادة هي الإلهام.

وبالمقارنة مع ما ذكره اللغويون نجد ما يأتي:

1 – فرّق أهل المعاجم بين المجرد والمزيد ولم يجعلوهما بمعنى واحد.

---

(1) المصطفوي حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ط1(طهران، 1416هـ)، 9/ 175.

(2) ينظر: المرجع السابق، 9/ 175.

(3) فنمرود ظنَّ أنّه بحكمه على شخص بالقتل، أو بإعفاءه منه يكون قد أحياه وأماته. ينظر: الزمخشري، الكشاف، 1/ 306.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (قبر) 5/ 48.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/ 123–124.

2 – المعاني التي ورد لها الإقبار في اللغة من الجَعل والأمر تؤدي لمعنى الإلهام الذي استعمل له الإقبار في القرآن الكريم.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الموفِّق إلى معالم الخير والسداد، ثم الصلاة والسلام في أكمل صورها على خاتم رسل الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فقد وفَّقني الله تعالى في نهاية هذا البحث إلى عدة نتائج وتوصيات، وهي كالآتي:

1 - أكَّد البحث على أنّه لا ترادف في القرآن الكريم؛ لأنَّ الترادف هو أن تأتي كلمتان مختلفتان لمعنى واحد، كما قد يُظَنُّ أن الفعل المجرد والمزيد يأتيان لمعنى واحد، فلما انتفى الترادف في الفعل المجرد والمزيد، وهما أقرب للاتفاق في المعنى من غيرهما؛ انتفى كذلك الترادف في كلٍّ مختلفين في القرآن الكريم.

2 - الزيادة في مبنى الفعل من مظاهر التطور الدلالي في اللغة إن لم تكن هذه الزيادة من أصل الوضع، ومن ذلك الزيادة في (أَفْعَلَ)؛ فتغيُّر مبنى الفعل من التجرُّد إلى الزيادة حدث بسبب نشوء معانٍ جديدة والحاجة إلى التعبير عنها، ثمَّ نزل القرآن الكريم بلغة العرب وأساليبهم، ثمَّ ورد فيه مبانٍ ومعانٍ لم تعهدها العرب – فيما اطَّلعت عليه من نثرهم وشعرهم – والزيادة على الأفعال لاستحداث معانٍ جديدة عهدته العرب، ولكن بلاغة القرآن فاقت ما عهدوه في لغتهم، فجاء التعبير فيه عن أفصح المعاني وأكملها في أكمل معنى وأبلغ سياق.

3 - المعاني التي أفادتها الزيادة في صيغة (أَفْعَلَ) في القرآن الكريم قد تكون مما ذكره أهل اللغة؛ كالصيرورة والتعدية، وقد تفيد معاني جديدة لم يذكرها أهل الصرف، ولم يذكرها أهل اللغة في المعاني المعجمية، ولكنها أفيدت من لفظ الفعل مع صيغته ثم استعماله على هذا النحو في سياق معيَّن.

4 - الأصل أنَّ المعاجم تغفل الفرق الدقيق بين صيغة فَعَلَ وأَفْعَلَ ولا تذكره، وعندما يطلق أصحاب المعاجم أنّهما بمعنى واحد، فهم يقصدون غالبًا اشتراكهم في المعنى العام، دون التطابق التام في المعنى، فما تذكره المعاجم لا يمكن أن يعوَّل عليه في فهم الفارق الدقيق

بين معنى الصيغتين، وقد تَسَمَّحت المعاجم المتأخرة في إطلاق المعنى الواحد لِـ: (فَعَلَ وأَفْعَلَ)، ويظهر ذلك واضحًا في «لسان العرب» لابن منظور، وكثيرًا ما يتبعه الزبيدي في «تاج العروس»، في حين أنّ أكثر المعاجم المتقدمة -وإن لم تذكر الفرق بين المجرد والمزيد- لا تتوسع في إطلاق المعنى الواحد لهما، مثل: «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي، و«الصحاح» للجوهري.

5 - إن لم ترد قراءات متواترة أو شاذة بـ(فَعَلَ) في (أَفْعَلَ) فهو دليل قوي على الاختلاف بين معنى الصيغتين، وعلى أن معنى: (أَفْعَلَ) هو المراد في القرآن الكريم.

التوصيات والمقترحات:

1 – وضع معجم مفهرس لأشعار العرب في الشعر الجاهلي تكون فهرستها على وفق المواد اللغوية بحيث يوضع في كل مادة ما ورد فيها من شعر العرب، فمثلًا يوضع في مادة (كتب) كل ما ورد عن الكتابة في الشعر الجاهلي، على غرار ما ورد في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الذي وضعه مجمع اللغة العربية، وفي هذا خير كثير لمن أراد الوقوف على الاتفاق والاختلاف بين معاني الكلمة كما استعملتها العرب قبل نزول القرآن، ومعانيها في الاستعمال القرآني.

2 – وقفت على عدد من الشواهد في كتب التفسير، ولم أجد لها ذكرًا في دواوين الشعر الجاهلي أو كتب اللغة التي وقفت عليها، وأغلب الظن أنَّ المفسرين قد حفظوا بعض التراث اللغوي التي ذهبت به الأيام، وهذه الشواهد جديرة بالبحث والجمع؛ لضرورة التوثيق، فإنه من أهم مطالب البحث العلمي.

3 – هناك كثير من الصيغ والكلمات في القرآن الكريم لم يُعنَ أهل التفسير بذكر دلائلها، ولا تزال تحتاج إلى نظر وتمحيص، فأوصي طلبة العلم بالاعتناء بكشف اللثام عن هذه الدلائل والنكت البلاغية فيها.

المصادر والمراجع

1 - الأخفش، سعيد بن مسعدة. **معاني القرآن**. تحقيق الدكتورة: هدى محمود قراعة. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990م.

2 - الإشبيلي، ابن عصفور. **الممتع في التصريف**. تحقيق: فخر الدين قباوة. ط1. حلب: المكتبة العربية، 1970م.

3 - **الأعشى، ديوان الأعشى**. تحقيق محمد حسين. القاهرة. المطبعة النموذجية.

4 - البغدادي، **خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب**. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. ط1. الرياض: 1982م.

5 - الثعالبي، أبو منصور. **فقه اللغة وسر العربية**. تعليق خالد فهمي. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998م.

6 - الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري. **الصِّحاح**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار. ط4. لبنان: دار العلم للملايين، 1990م.

7 - أبو حيان. **ارتشاف الضَرَب من لسان العرب**. تحقيق: رجب عثمان محمد. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998م.

8 - أبو حيّان. البحر المحيط في التفسير. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1992م.

9 - ابن خالويه. **القراءات الشاذة**. عني بنشره برجشترار. القاهرة: مكتبة المتنبي.

10 - ابن درستويه. **تصحيح الفصيح وشرحه**. تحقيق: محمد بدوي المختون. القاهرة، 1998م.

11 - الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق علي هلالي. ط1. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001م.

12 - الزمخشري. **أساس البلاغة**. ط1. لبنان: مكتبة لبنان – ناشرون. 1996م.

13 - الزمخشري، أبو القاسم محمود. **الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. ط1، 1998م.

14 - الرازي. **مفاتيح الغيب**. ط1. لبنان: دار إحياء التراث العربي، 2008م.

15 - الراغب الأصفهاني. **مفردات ألفاظ القرآن**. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. دمشق: دار القلم، 1996م.

16 - الرضي، **شرح الشافية**. تحقيق: محمد محي عبد الحميد وآخرون. ط1. بيروت: دار الكتب، 1395هـ.

17 - السجستاني، أبو حاتم. **فَعَلْتُ وأفعَلْت**. تحقيق: خليل إبراهيم العطية. ط2. بيروت: دار صادر، 1996م.

18 - السمين الحلبي. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**. تحقيق: عبد السلام أحمد التونجي الحلبي. ط1. بنغازي: دار الكتب الوطنية، 1995م.

19 - ابن سيدَه، أبو علي. **المُخَصَّص**. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996م.

20 - سيبويه، أبو بشر عمرو. **كتاب سيبويه**. ط1. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، 1317هـ.

21 - السيوطي. **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**. تحقيق: عبد العال سالم مكرم. الكويت: دار البحوث، 1980م.

22 - **الشعراوي، محمد متولي**. **تفسير الشعراوي**. قطاع الثقافة، 1419ه.

23 - الصيمري، أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق. **التبصرة والتذكرة**. تحقيق: فتحي أحمد مصطفى علي الدين. ط1. مكة المكرمة: مركز البحوث العلمي والتراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1982م.

24 - الطبري، أبو جعفر بن يزيد. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. لبنان: دار الفكر، 1988م.

25 - ابن عادل، أبو حفص سراج الدين. **اللباب في علوم الكتاب**. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية، 1998م.

26 - ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. ط1. لبنان: مؤسسة التاريخ، 2000م.

27 - عبد اللطيف الخطيب. **معجم القراءات**. ط1. سوريا: دار سعد الدين، 2002م.

28 - العسكري، أبو هلال. **الفروق في اللغة**. تحقيق: جمال عبد الغني مدغمش. ط1: مؤسسة الرسالة، 2002م.

29 - ابن عطية، أبو محمد عبد الحق. **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرون. ط1، 1984م.

30 - ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرون. ط20. القاهرة: دار مصر للطباعة، 1980 م.

31 - ابن فارس، أبو الحسين أحمد. **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها**. علَّق عليه أحمد حسن بسج. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية، 1997م.

32 - ابن فارس، أحمد. **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. طبعة اتحاد الكتاب العرب، 2002م.

33 - الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. **العين**. تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون. دار الهلال.

34 - الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب. **بصائر التمييز**. تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي. ط6: مؤسسة الرسالة، 1998م.

35 - ابن قتيبة. **أدب الكاتب**. شرحه الأستاذ علي فاعور. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية، 1988م.

36 - القرطبي، أبو عبد الله. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. لبنان: مؤسسة الرسالة، 2006م.

37 - القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق. **فتح البيان في مقاصد القرآن**. عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. بيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر. 1992 م.

38 - ابن كثير، إسماعيل. **تفسير القرآن العظيم**. دار الأندلس.

39 - الكفوي، أبو البقاء. **الكلّيات**. تحقيق: عدنان درويش وآخرون. ط1. مؤسسة الرسالة، 1992م.

40 - المبرّد، محمد بن يزيد. **المقتضب**. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. القاهرة، 1982م.

41 - مجمع اللغة العربية. **معجم ألفاظ القرآن الكريم**. ط2. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.

42 - المُصطَفَوي، حسن. **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**. ط1. طهران، 1416هـ.

43 - معمر بن المثنى، أبو عبيدة. **مجاز القرآن**. تحقيق: محمد فواد سزگين. القاهرة: مكتبة، 1381 هـ.

44 - ابن منظور. **لسان العرب**. ط3. دار صادر، 2004م.

45 - نشوان بن سعيد. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**. تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون. ط1. لبنان: دار الفكر المعاصر، 1999 م.

46 - الهيثمي، أبو بكر. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. لبنان: دار الكتب العلمية، 1988م.

47 - ابن يعيش، **شرح المُلوكي في التصريف**. تحقيق: فخر الدين قباوة. ط1. حلب: المكتبة العربية، 1973م.

❁❁❁